

بيان معاني الاستواء

فعرش الله تعالى مخلوق اختصه بالاستواء عليه، وقد فسر العلماء الاستواء، وبعضهم توقف عن تفسيره بقولهم: استواء يليق به، وأكثراً ذكروا تفسيره. ولما أتى ابن جرير رحمة الله على الاستواء في سورة البقرة في قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَاهُنَّ } فتكلمت على الاستواء، وذكر أن له معانٍ. الاستواء: يأتي بمعنى التمام كما في قول الله تعالى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَسْدَدَهُ وَاسْتَوَى } يعني: تم وكملت رجوليته، وتكامل عقله؛ لأنه هنا لم يقيد بحرف. وكذلك أيضاً من معانٍ: العلو إذا عدي بـإلى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَاهُنَّ } { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فاستوى هنا معناها: علاً وارتفاع. وأما إذا قيد بـ"على" فليس له معنى إلا العلو مثل قوله تعالى: { وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } يعني: سفينة نوح استقرت وارتفعت على الجودي الذي هو أعلى الجبال، ومثل قوله: { لَنَسْتَوُوا عَلَى طَهُورِهِ } أي: ترتفعوا على ظهوره، ثم تقولوا، { إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَنَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي } كذلك قوله تعالى: { كَرَرْعَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَزَرْهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ } يعني: ارتفع، فلأجل ذلك العلماء من أهل السنة تكلموا على الاستواء؛ فذكروا له أربعة تفاسير: تفسير أن استوى بمعنى: علاً وارتفاع، علاً هذا واضح أنه العلو، وارتفاع أنه الارتفاع، وصعد واضح أيضاً أنه العلو، واستقر واضح أيضاً أنه العلو. وفي أدلة ابن القيم في النونية يقول فيها في الدليل السادس عشر: هذا وسادس عشرها إجماع أهل العلم يعني حجة الأزمان من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وشيعة الرحمن لا عبرة لمخالف لهم ولو كانوا عديداً الشاء والبعران إلى قوله: ولهم عبارات عليها أربع قد حررت من فارس الطعان وهي استقر وقد علا وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران وكذلك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان فذكر نصوص الأئمة أنهم فسروها بهذه التفسيرات الأربع. وأن الشيباني الذي هو أبو عبيدة معمراً من المتنى من علماء اللغة، وله كتب في اللغة يفسر استوى بمعنى صعد. وذكر أنه طرق عليه الباب أحد وهو في علية له فأراد أن يقول: أصعدوا فقال: استووا يعني: أرقو، فعرف مع أنه لغوياً فصيح أدرك اللغة قبل أن تغير؛ فلذلك يقول ابن القيم وأبو عبيدة صاحب الشيباني يعني أبو عبيدة معمراً من المتنى يختار هذا القول يختار تفسير استوى بمعنى: صعد في تفسيره. أدرى من الجهمي بالقرآن يعني أن الجهمي ليس له علم ولا معرفة بتفسيرات اللغة ولا بالقرآن، والأشعري الذي هو أبو الحسن رحمة الله يقول: إن تفسير استوى بمعنى: استولى من البهتان؛ ولذلك أنكر ذلك في رسالته، ولعلكم قرأتموها، الرسالة المختصرة بعنوان، الرسالة التي قالوا: إنه كتبها في آخر حياته. ولا شك أنها واضحة في أنه تراجع عما كان عليه، سماها "الإبانة عن أصول الديانة"، فلما ذكر الاستواء قال: وقد تأوله المعتزلة في أن استوى بمعنى استولى؛ ولو كان بمعنى: استولى لكان الاستيلاء عاماً، فإن الله تعالى قد استولى على الأرض، واستولى على المخلوقات كلها؛ فلا يكون للعرش خصوصية بأنه استولى عليه، فلذلك رد هذا التأويل. والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان يوجد في بعض الذين ينقلون عنه نقاً خطأً؛ والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى على الأكونان وهذه أطنانها مقوله في المعنى وهي خطأ.